

المحاضرة الأولى: كتمان العلم

الفصل الدراسي الثاني

أ.م.د. عقيل عباس الريكان

كلية التربية الأساسية/ الجامعة المستنصرية

(كتمان العلم)

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)^(١) .

(جواب السؤال الأول) سبب النزول

روى السيوطي عن ابن عباس، أن عدداً من المسلمين أمثال (معاذ بن جبل)، و(سعد بن معاذ)، و(خارجة بن زيد)، سألوا أحبار اليهود عن مسائل التوراة التي ترتبط بظهور النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأبى الأحبار أن يجيبوا وكتموا ما عندهم من علم^(٢) .

(١) البقرة: ١٥٩-١٦٠ .

(٢) ينظر: لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي: ٢٢ .

(جواب السؤال الثاني) المعنى العام

الآية وإن خاطبت كما في أسباب النزول علماء اليهود، غير أنها غير محدودة بمخاطبيها؛ بل تبين حكماً عاماً بشأن كاتمي الحقّ.

الآية الكريمة تتحدّث عن هؤلاء بشدة، وتقول: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ)^(٣).

فاللّهُ سبحانه وعباده الصالحون وملائكته المقربون يلعنون من يكتُم الحقّ، وبعبارة أخرى، كل أنصار الحقّ يغضبون على من كتم الحق، وأية خيانة للعالم أكبر من محاولة العلماء كتمان آيات اللّهُ المودعة عندهم من أجل مصالحهم الشخصية؛ ولتضليل الناس.

وعبارة (مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ)^(٤) ، إشارة إلى أن هؤلاء الأفراد يصادرون في الواقع جهود الأنبياء وتضحيات أولياء اللّهُ الصالحين، وهو ذنب عظيم. والفعل (يلعن) تكرر في الآية للتأكيد، وأستعمل بصيغة المضارع؛ لبيان استمرار اللعن، ومن هنا فإن لعنة اللّهُ ولعنة اللاعنين تلاحق هؤلاء الكاتمين لآيات اللّهُ باستمرار، وذلك أقسى صور العقاب.

(٣) البقرة: ١٥٩.

(٤) البقرة: ١٥٩.

(البيئات) و(الهدى)، لهما معنى واسع يشمل كل وسائل الهداية، والتوعية، والايقاظ، وإنقاذ الناس.

ولما كان القرآن كتاب هداية، فإنه لا يغلق منافذ الأمل والتوبة أمام الأفراد، ولا يقطع أملهم في العودة مهما ارتكسوا في الذنوب؛ ولذلك تبين الآية التالية طريق النجاة من هذا الذنب الكبير، وتقول: (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)^(٥).

عبارة (أَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)، جاءت بعد عبارة (فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ)، للدلالة على كثرة محبة الله، وسبق عطفه على عباده التائبين، فيقول سبحانه لهؤلاء: إن تبتم، أي عدتم إلى نشر الحقائق، فأنا أعود أيضاً إلى إغداق الرحمة والمواهب عليكم.

ومن الملفت للنظر، أن الله لم يقل أنه يقبل التوبة ممّا تاب بل يقول: من تاب فأنا أيضاً أتوب عليه، والفرق بين التعبيرين واضح، فالثاني فيه من التودّد والتحنن وإغداق اللطف ما لا يمكن وصفه.

ثم استعمال الضمير (أنا) في هذا الموضع يستهدف نوعاً من التودّد وبيان الارتباط المباشر بين المتكلّم والسامع.

وكلمة (توّاب) صيغة مبالغة تبعث الأمل في نفوس المذنبين وتمزّق أستار اليأس، عن سماء أرواحهم خاصة، وأنها اقترنت بكلمة (رحيم) التي تشير إلى الرحمة الإلهية الخاصة.

(٥) البقرة: ١٦٠.

(جواب السؤال الثالث) الأحكام المستفادة من النص الكريم

١. إن كتمان المعرفة مع الحاجة إلى إظهارها من الكبائر بدلالة ترتب اللعن.
٢. كتمان الحقائق لا ينحصر دون شك في كتمان علامات النبوة؛ بل يشمل كتمان كل حقيقة تستطيع أن تدفع الناس إلى الفهم الصحيح بالمعنى الواسع لهذه الكلمة.
٣. دلّ النص على أن كتمان المعرفة سبب في افساد البيئة الاجتماعية والمعرفية؛ لذلك يعدّ ذلك من جنس الأخطار الممهدة للنظام العام، فلا بد من اقتران التوبة بالإصلاح وهو البيان.

٤. أثّرت على تداعيات هذا النص قضية الأجرة على تعليم البيئات والهدى، ومنها تعليم القرآن والفرائض، وخصّ منهم ذلك بالتعليم الشرعي، فذهب بعضهم إلى عدم جواز أخذ الأجرة عليه. قال الجصاص: (إلا أنه لا يصح استحقاق الأجر على الإسلام)^(٦)، فثبت به بطلان الإجارة على تعليم القرآن وسائر علوم الدين، وذهب بعض الإمامية إلى أنه لا تجوز الأجرة على تعليم القدر الواجب من أصول الدين وفروعه من تعليم القرآن.

وذهب فريق آخر إلى جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن وسائر العلوم الدينية. **هذه**

النقطة جواب للسؤال الرابع

٥. النص الكريم يؤسّس لحق التعليم المجاني في المجتمع الإسلامي أو إنشاء مؤسسة تعليمية إسلامية؛ وذلك بتولّي صندوق الزكاة والخمس، الصرف على

(٦) أحكام القرآن، للجصاص: ١ / ١٩٤.

التنمية العلمية الشاملة للأمة، وبهذا لا تؤخذ الأجرة من المتعلم، ولا يضيع العلم والعالم من استيفاء حقه متفرغاً لنقل المعرفة واستحداثها^(٧).

تمارين اختبارية

س١ / قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)، ما سبب نزول الآيتين الكريمتين.

الجواب في الصفحة رقم (١)

س٢ / قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)، بين المعنى العام للآيتين

الكريمتين. الجواب في الصفحتين (٢ - ٣)

س٣ / قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)، ما الأحكام المستفادة من الآيتين

الكريمتين؟ الجواب في الصفحة رقم (٤)

س٤ / هل يجوز أخذ الإجارة على تعليم القرآن والفرائض؟

الجواب في الصفحة رقم (٤)

(٧) يُنظر: الجامع المفصل لآيات الأحكام في القرآن الكريم، للدكتور عبد الأمير كاظم